

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فسيلة الولاء في مناخ الأسرة (المحاضرة ٦)

علي رضا بناهيان



PANAHIAN.NET

الزمان: شهر المحرم ١٤٣٣

المكان: مهدية طهران

الموضوع: فسيلة الولاء في مناخ الأسرة (المحاضرة ٦)

الولاء صعب مستصعب وبحاجة إلى تمرين/ تمرين الولاء في برّ الوالدين

ألقى سماحة الشيخ بناهيان في العشرة الأولى من المحرّم في مهدية طهران محاضرات تحت عنوان «فسيلة الولاء في مناخ الأسرة» فإليكم أهمّ المقاطع من محاضراته السادسة:

الولاء صعب مستصعب/ عدم صبر موسى(ع) في امتحان الولاء مع الخضر(ع)

إن لم نكن قد تدرّبنا على الولاء جيّداً تحت ولاية الوالدين، فلا يدري هل سوف نقدر على إطاعة ولي الله أم لا. لا يحسبنّ أحدنا أن طاعة الإمام الحجة(عج) أمر هيّن. فقد يأمرنا الإمام بأوامر يصعب علينا استيعابها وتحملها وامتثالها. لقد قرأنا في القرآن قصة النبي موسى والخضر عليهما السلام، فلما أراد موسى أن يصاحب خضراً ليتعلّم منه رشداً (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) [الكهف/67] وفعلا هذا ما حدث. قال خضر لموسى: فإن رأيت منّي سلوكاً غريباً وصعب عليك استيعابه فلا تسألني؛ (فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) [الكهف/70] ولكن لم يستطع ذلك موسى على الرغم من عظمته. يوم أحرقوا باب بيت أمير المؤمنين(ع)، لم يتجاوز أنصار أمير المؤمنين(ع) عدد أصابع اليد الواحدة. في تلك الظروف، شَهَر أحد أصحاب أمير المؤمنين(ع) سيفه وأخذ يدافع عنه، ولكنه لم يستلم أمراً من أمير المؤمنين(ع) يومئذ. هذا الرجل هو الزبير الذي لم ينجح في امتحان الولاء في تلك الساحة. كان أصحاب أمير المؤمنين(ع) على استعداد من التضحية بأنفسهم، ولكن كانت أعينهم ترصد مولاهم وكانوا رهن إشارته. ولكن أحجموا ولم يحركوا ساكناً إذ لم يأمرهم أمير المؤمنين(ع) بشيء. واللطيف أن هؤلاء العدة القليلة الذين نجحوا في امتحان الولاء، حصلوا على درجات مختلفة. خطر ببال أحدهم هذا الإشكال وهو لماذا لم يحرك أمير المؤمنين(ع) أي ساكن ولم يفعل شيئاً؟! أما المقداد لم يشك بإمامه طرفة عين. عن الإمام الباقر(ع): «إِنْ أَرَدْتَ الَّذِي لَمْ يَشُكَّ وَلَمْ يَدْخُلْهُ شَيْءٌ فَالْمُقَدَّادُ» [الاختصاص للشيخ المفيد/ص10] كان المقداد كما روي عن الإمام الصادق(ع): «لَمْ يَزَلْ قَائِمًا قَائِمًا قَائِمًا عَلَى قَائِمِ السَّيْفِ عَيْنَاهُ فِي عَيْنِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ(ع) يَنْتَظِرُ مَتَى يَأْمُرُهُ فَيَمُضِي» [المصدر نفسه/ص9] لقد نجح المقداد بدرجة كاملة في هذا الامتحان.

تمرين الولاء ببرّ الوالدين

الولاء صعب مستصعب، فلا يحتمله كل ابن آدم، وهو أمر بحاجة إلى تمرين مداوم. وإنما يتمّ التمرين على الولاء في مناخ الأسرة، وحتى هذا التمرين فالنجاح فيه ليس بأمر هيّن.

إن لم نستطع أن نتحمّل والدينا وكنا لا نحترمهم جيّداً، فلن نقدر على تحمّل وليّ الله. قد يتساءل سائل أن شتان بين ولي الله وبين والدينا، إذ سلوك ولي الله مضبوط وصحيح، على خلاف والدينا إذ قد يصدر منهما فعل غير صحيح وقد يكون سلوكهما مليئاً بالثغرات. في الجواب نقول: صحيح أن سلوك الوالدين قد يجانب الصواب، ولكن الله قد اختارهما لنا، وقد اختارهما لنا بهذه الخصائص السلوكية التي يتصفان بها، لكي ننضج ونرشد عبر حُسن التعامل معهما وبرّهما في جميع الأحوال. فعلى سبيل المثال قد يكون الأب معنا سيئ الأخلاق وخشن العريكة، حينها لابدّ أن لا ننس أن الله قد اختارنا لنا هذا الأب لكي نكون في معرض أخلاقه وحدّته ولترتقي ونرشد عبر الصبر على أخلاقه مضافاً إلى إجلاله. صحيح أن هناك بون شاسع بين الوالدين وبين الإمام الحجة (عج)، ولكن لا يخف أن الله الذي أوجب علينا إطاعة الإمام الحجة (عج) هو نفسه قد أوجب علينا طاعة الوالدين أيضاً. إنه سبحانه يعرف والدينا جيّداً ويعرفنا أيضاً أحسن من أنفسنا ويعرف ما تقتضيه روحنا لكي تسمو، ويعرف أي بعد من أبعاد روحنا بحاجة إلى تهرين. لذلك سبحانه قد اختار والدينا لترشد روحنا جيّداً. إن الله يعلم ما هي احتياجات روحنا وأي جانب منها بحاجة إلى تطوير، ولذلك قد منحنا والدين وفق متطلباتنا وبحيث يتسبّب برّهما في ارتقائنا الروحي. فإذا كان والدانا سيئ الأخلاق أو حساسين أو متحجّجين فقد اختار الله لنا كلاً من خصائصهما بحساب دقيق. عَنْ أَبِي وَوَلَدِ الْحَنَاطِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (ع) عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) مَا هَذَا الْإِحْسَانُ؟ فَقَالَ: «الْإِحْسَانُ أَنْ تُحْسِنَ صُحْبَتَهُمَا وَ أَنْ لَا تُكَلِّفَهُمَا أَنْ يَسْأَلَكَ شَيْئًا مِمَّا يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ وَ إِنْ كَانَا مُسْتَعْيِنِينَ. أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) قَالَ: ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: أَمَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفُّ وَ لَا تَنْهَرُهُمَا) قَالَ إِنْ أَضْجَرَكَ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفُّ وَ لَا تَنْهَرُهُمَا إِنْ ضَرَبَاكَ قَالَ (وَ قُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) قَالَ إِنْ ضَرَبَاكَ فَقُلْ لَهُمَا غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ فَذَلِكَ مِنْكَ قَوْلُ كَرِيمٍ قَالَ (وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قَالَ لَا تَمَلَأْ عَيْنَيْكَ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِمَا إِلَّا بِرَحْمَةٍ وَ رِقَّةٍ وَ لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فَوْقَ أَصْوَاتِهِمَا وَ لَا يَدَّكَ فَوْقَ أَيْدِيهِمَا وَ لَا تَقَدِّمْ قُدَّامَهُمَا. [الكافي/ج ٢/ص ١٥٨]